مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019
ص: 485- 504 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الحقول الدلالية للون ودلالاتها في صحيح مسلم

The Semantic Fields for the Color and their Significances in the Saheeh of Muslim

[*] د. غصاب منصور الصقر
Dr. Ghassab Mansoor Al Saqr
الحرس السلطاني العماني/ سلطنة عمان
The Royal Guard of Oman

تاريخ الإرسال:2019/09/07	تاريخ القبول:2019/11/03	تاريخ النشر.: 2019/12/01

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحقول الدلالية للون ودلالاتها في صحيح مسلم. لقد أتت هذه الألوان وصفًا لأشياء عديدة، من نحو: اللباس، والوجه، والقلب، والحجر، والشمس، والدم، والمال، والخيل، ومنفتحة على دلالات كثيرة، مثل: الصفاء والنقاء، والسلامة من الخلل، والجَمَال والبهاء، والتقليل، والتطيب، والتضحية.

الكلمات المفاتيح: حقول دلالية، دلالة، لون، صحيح مسلم

Abstract:

This research aims at examining the semantic fields for the color and their significances in the Saheeh of Muslim.

These colors are used to describe many things, such as: dress, face, heart, stone, sun, blood, money, and horse. It will be shown that colors in such cases have several functions/significances, such as: serenity and purity, safety from the defect, beauty and decency, minimization, perfuming, and sacrifice.

Keywords: Semantic Fields, Significance, Color, the Saheeh of Muslim.

مقدمة:

حدث تحول منهجي في مسار الدراسات الدلالية، أدى إلى تصنيف المداخل المعجمية في أنساق بنيوية وفق علاقات دلالية مشتركة؛ إذ تبلورت نظرية تقوم على علاقات لسانية مشتركة

[*] غصاب منصور الصقر. ghassab67@yahoo.com

في ظل المقاربة المنهجية، يمكن لها أن تكون إحدى بنى النسق اللساني، من نحو: حقل الزمان، والمكان، والقرابة، والألوان، ...إلخ[1]، وتسمى هذه النظرية بـ "نظرية الحقول الدلالية"، والتي تهدف إلى جمع الألفاظ التي تنتمي إلى حقل دلالي معين، والكشف عن صلة بعضها ببعض، وصلتها بالمصطلح العام[2]؛ حتى نستطيع فهمها، ووضع قوانينها، ومن ثم الحكم عليها، والاستنتاج[3].

ولقد تبلورت فكرة الحقول الدلالية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، على أيدي علماء سويسريين وألمان، نحو: فرديناند دو سوسير الذي وضع اللبنة الأساسية لهذا التوجه، عندما انتبه إلى وجود علاقات دلالية بين الألفاظ يمكنها أن تصنف النسق اللساني إلى أنساق متعددة ومختلفة، وهو ما يسميه بالعلاقات الترتيبية (Associative reports)، وأمثال: آسبين (Ispen)، وجولز (Jolles)، وترايز (Trier) الذي درس الألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة، وماير (Meyer) الذي اختار ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية، وقام بدراستها[4].

وهذا لا يجعلنا أن نقلل من جهود علمائنا العرب القدامى الذين حاولوا الاضطلاع بدراسات معجمية تعوّل على الحقول الدلالية، في تصنيفهم للمداخل المعجمية، التي تشكل الرصيد المعجمي للسان العربي؛ إذ وضعوا معاجم الموضوعات التي تقوم على فكرة الحقول الدلالية[5]، فقد عرف علماء اللغة العربية القدامى الرسائل اللغوية، دون أن يشيروا إلى المصطلح، تلك الرسائل التي تضمنت تصنيفًا شاملًا لألفاظها منذ العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام[6]، مثل: كتاب "المطر" لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت:215هـ)، وكتاب "الإبل"، وكتاب "الخيل"، وكتاب النبات للأصمعي (ت:828)، ومن المعاجم العربية التي تندرج تحت هذا النوع، معجم المخصص لابن سيدة (ت:458هـ)، ومعجم فقه اللغة للثعالبي (ت:875هـ).

أولًا: مفهوم نظرية الحقول الدلالية:

الحقل الدلالي (Semantic field) أو الحقل المعجمي (Lexical field): مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ببعض، وتنضوي عادة تحت لفظ عام يجمعها. ومثال ذلك كلمات الألوان في العربية، فهي تقع تحت لفظ عام (لون)، وتضم ألفاظًا فرعية، مثل: أحمر، وأزرق، وأبيض....إلخ. وعرفه أولمان (Allmann) بقوله: "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة". ويعرفه ليونز (Lyons): بأنَّه: "مجموعة جزئية لمفردات اللغة"[7].

أو هو مجموعة من الكلمات المتقاربة، أو المعاني التي تجمعها ملامح دلالية مشتركة؛ لأنَّ الكلمة ليس لها معنى بمفردها، بل تكتسب معناها بعلاقتها بالكلمات الأخرى، في إطار الحقل الواحد[8].

ثانيًا: مبادئ نظرية الحقول الدلالية وأنواعها:

تقوم نظرية الحقول الدلالية على جملة من الأسس، نوردها في الآتي ذكره[9]:

1. لا وحدة معجمية عضو في أكثر من حقل.
2. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.
3. لا إغفال للسياق التي ترد فيه الكلمة.
4. لا دراسة للمفردات مستقلة عن تركيبها النحوي

وتشمل نظرية الحقول الدلالية الأنواع الآتية[10]:

1. الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
2. الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية "Morpho-Semantic field".
3. أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.
4. الحقول السنتجماتية "Syntagmatic field" وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبدًا في الموقع النحوي نفسه. وتقسم العلاقات في الحقل السنتجماتي إلى نوعين، هما: الوقوع المشترك، والتنافر.

ثالثًا: مفهوم اللون:

للألوان أهمية في حياة الإنسان؛ لأنَّها اقترنت بعاداته وتقاليده، وبحالته النفسية، فأثرت على طباعه ومزاجه، فبعثت في نفسه السعادة والسرور تارة، والملل والكآبة تارة أخرى.

(اللَّوْنُ): هيئة كالسواد والحمرة. ويقال: فلان (مُتَلَوِّنٌ)، أي: لا يثبت على خُلُقٍ واحد. و(لَوَّنَ) الْبُسْرُ (تَلْوِينًا) إذا بدا فيه أثر النضج. و(اللَّوْنُ): الدَّقَلُ، وهو ضرب من النَّخْلِ. قال الأخفش: هو جمع واحدته (لِينَةٌ)، ولكن لما انكسر ما قبلها انقلبت الواو ياء. ومنه قوله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} [الحشر: 5]. وتمرها سمين يسمى العجوة وجمعها لِينٌ[11].

رابعًا: الحقول الدلالية للون ودلالاتها:

يتضمن اللون –في صحيح مسلم– مجموعة من الحقول الدلالية التي تحمل دلالات مهمة يراد نقلها إلى المتلقي؛ لتؤدي دورها التأثيري فيه عقيدة وسلوكًا. وفيما يأتي تفصيل لاستعمالات كل حقل على حدة:

1. حقل اللون الأبيض:

البياض: لون الأبيض. وقد قالوا: بَيَاضٌ وبَيَاضَةٌ كما قالوا: مَنْزِلٌ وَمَنْزِلَةٌ. وقد بَيَّضَ الشَّيْءَ تَبْيِيضًا، فَابْيَضَّ ابْيِضَاضًا، وابْيَاضَّ ابْيِيضَاضًا. وجمع الأبيض "بِيضٌ"، وَ(بَايَضَهُ فَبَاضَهُ) من باب باع، أي: فاقه في البياض ولا تقل: يَبُوضُهُ. وهذا أشد بياضًا من كذا، ولا تقل: أَبْيَضُ منه، وأهل الكوفة يحتجون بقول الراجز:

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

قال المبرّد: ليس البيت الشاذ حجة على الأصل المجمع عليه وأما قول الآخر:

إِذَا الرِّجَالُ شَتَوْا وَاشْتَدَّ أَكْلُهُمُ فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

فيحتمل ألا يكون أَفْعَلَ الذي تصحبه من للتفضيل وإنَّما هو كقولك: هُوَ أَحْسَنُهُمْ وَجْهًا وَأَكْرَمُهُمْ أَبًا، تريد هُوَ حَسَنُهُمْ وَجْهًا وَكَرِيمُهُمْ أَبًا، فكأنَّه قال: فَأَنْتَ مُبْيَضُّهُمْ سِرْبَالًا فلما أضافه انتصب ما بعده على التَّمييز. و(الْبِيضَانُ) من النَّاس ضد السُّودَانِ[12]. ويقال: أَتاني كلُّ أَسْودَ مِنْهُمْ وأَحمر، ولا يقال أَبْيَض. والعرب لا تقول: حَمِر ولا بَيِض ولا صَفِر. وبقال: ابْيَضّ وابْياضَّ واحْمَرَّ واحْمارَّ، والعرب تقول: فُلَانَةٌ مُسْوِدة ومُبيِضةٌ إذا ولدت البِيضانَ والسُّودانَ، وأَكثر ما يقولون مُوضِحة إذا ولدت البِيضانَ، ولا يقال: ما أَبْيَضَ فُلَانًا وَمَا أَحْمَر فُلَانًا مِنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ؛ وقد جاء ذلك نادرًا في شعرهم، على نحو قول طرفة:

أَمّا الملوكُ فأَنْتَ اليومَ ألأَمُهم لُؤْمًا، وأَبْيَضُهم سِرْبالَ طَبَّاخِ

واليد البيضاء: الحجة المبرهنة، وهي التي لا تمن. وإذا قالت العرب: فُلَانٌ أَبْيَضُ وَفُلَانَةٌ بَيْضاء فالمعنى نقاء العِرْض من الدنس والعيوب؛ ومن ذلك قول زهير يمدح رجلًا:

أَشَمّ أَبْيَض فَيّاض يُفَكِّك عَنْ أَيدي العُناةِ وَعَنْ أَعْناقِها الرِّبَقا

وقال:

أُمُّك بَيْضاءُ مِنْ قُضاعةَ في الـ بيت الذي تَسْتَظِلُّ في ظُنُبِهْ

لا يريدون بهذا البياض بياض اللون، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب، وإذا قالوا: فُلَانٌ أَبْيَض الْوَجْهِ وَفُلَانَةٌ بَيْضاءُ الْوَجْهِ أَرادوا نقاء اللون من الكَلَف والسواد الشائن[13].

ومن حقول اللون الأبيض: الشِّكال: وهو أن يكون ثلاث قوائم للخيل محجلة وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذي تشكل به الخيل، أو أن يكون في الرجل اليمنى واليد اليسرى بياض، أو العكس، أو بياض الرجل اليمنى واليد اليمنى، أو الرجل اليسرى واليد اليسرى، أو بياض الرجلين، أو بياض اليدين[14]. والأبلق: عندما يكون في لون الشيء بياض وسواد. والأشهب: عندما يخالط البياض سواد. والأغر: البياض الذي يكون في جبهة الفرس، والأمرد: الأبيض الذي ليس فيه شيء من السواد. والأمهق: الأبيض بغير حمرة. والصاطع، والناصع، والوضاح.

يكثر حقل اللون الأبيض في صحيح مسلم، وهو من أكثر الألوان ذكرًا في المدونة؛ فقد جاء وصفًا للباس، والشمس، والشعر، والنهار، والعقال، والوجه، والقلب، والخيل؛ ليدلَّ على دلالات متنوعة، يمكن لنا توضيحها على النحو الآتي:

أ- الصفاء والنقاء: ومثال ذلك حديث أبي ذر عندما قال: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ (...)"[15]. تشكل حقل اللون في هذا الحديث من مستويين: المستوى التقريري الذي تمثل في لون الثياب البيضاء، والمستوى الإيحائي الذي دل على الصفاء والجمال والنقاء. ومن ذلك حديث أبي هريرة: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ (...)"[16].

ب- فضل الوضوء: نحو ما جاء في حديث نعيم بن عبدالله؛ إذ قال: " (...) سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ"[17]. إنَّ الدال اللوني المتمثل في تعبير (غرًا) قد دلَّ على البياض الذي اتسمت به وجوه المؤمنين وعلى النور المشع منها يوم القيامة وذلك من أثر الوضوء.

ج- التقليل: ومن ذلك حديث عبدالله:قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ

الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ"[18]. يوحي تقرير (شعرة بيضاء) في هذا الحديث على قلة المسلمين بالنسبة إلى الكفار في يوم المحشر.

د- وضح النهار: ويتمثل ذلك في حديث عدي بن حاتم عندما قال: "يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ"[19]. تجسد الحقل اللوني في هذا الحديث في تعبير (عقالًا أبيض)، الذي يدل على محتوى وضح النهار.

هـ- الجَمَال: ويتجسّد ذلك في حديث أبي الطفيل: "قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: نَعَمْ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ"[20]. يدل اللون الأبيض على جمال وجه النبي صلى الله عليه وسلم وصفائه، فقد كان نير البياض لا بالأبيض الأمهق (الكريه) ولا بالسمرة الشديدة.

و- وقت صلاة العصر: ورد في حديث أبي سليمان بن بريدة: "عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ: صَلِّ مَعَنَا هَذَيْنِ -يَعْنِي الْيَوْمَيْنِ- فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَأَقَامَ الظُّهْرَ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ(...)"[21]. جاء حقل اللون الأبيض في هذا الحديث وصفًا للشمس. إنَّ بياض الشمس ونقاءها وارتفاعها فيه دعوة للمحافظة على أداء الصلوات في وقتها، وعدم تأخيرها إلى وقت الغروب.

ز- السلامة من الخلل: وخير مثال على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ (...)"[22]. يدل اللون الأبيض على سلامة القلب الذي ينكر الفتن من الخلل، وأنَّ هذه الفتن لم تلصق به ولم تؤثر به كالصفا (نوع من الحجارة الملساء الصافية) التي لا يعلق بها شيء.

ح- الكراهة: ومن الأدلة على ذلك حديث أبي هريرة: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَكْرَهُ الشِّكَالَ مِنَ الْخَيْلِ"[23]. يتمثل الحقل اللوني الدال على اللون الأبيض في تعبير

(الشِّكَالَ) ذلك اللون الذي كرهه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه على صورة المشكول، يعني تفاؤلًا، أو لأنَّه قد جرب ذلك الجنس من الخيل فلم يكن فيه نجابة[24].

وعليه يكون لكسيم (Lexeme)[25] اللون الأبيض قد حمل السيميمات (Sememe)[26] الآتية: [الصفاء والنقاء+ فضل الوضوء+ التقليل+ وضح النهار+ الجمال+ وقت صلاة العصر+ السلامة من الخلل+ الكراهة].

2. حقل اللون الأسود:

سَوَدَ: السَّواد: نقيض البياضِ؛ سَوِدَ وَسادَ واسودَّ اسْوِدادًا واسْوادّ اسْوِيدادًا، ويجوز في الشعر اسْوَأَدَّ، تُحَرَّكُ الأَلف لئلا يجمع بين ساكنين؛ وهو أَسود، والجمع سُودٌ وسُودانٌ. وسَوَّده: جعله أَسود، والأَمر منه اسْوادَدْ، وإن شئت أَدغمت، وتصغير الأَسود أُسَيِّد، وإن شئت أُسَيْوِدٌ، أَي: قد قارب السَّواد، والنسْبة إليه أُسَيْدِيٌّ، بحذف الياء الْمتحرّكة، وتصغير الترخيم سُوَيْدٌ. وساوَدْتُ فلانًا فسدته، أَي: غلبته بالسَّواد من سَوَادِ اللون والسُّودَدِ جميعًا. وسَوِدَ الرجل: كما تقول عورت عينه وَسَوِدْتُ أَنا[27].

وسَوَّدْتُ الشيءَ إذا غيَّرت بياضه سَوَادًا. وأَسوَدَ الرجل وأَسأَدَ: ولد له ولد أَسود. وساوَدَه سِوادًا: لقيه في سواد الليل. وسواد القوم: معظمهم. وسواد الناسِ: عوامهم وكل عدد كثير. ويقال: أَتاني القوم أَسوَدُهم وأَحمرُهم، أَي: عربهم وعجمهم. ويقال: كلّمته فما رد علي سوداء ولا بيضاء، أَي: كلمة قبيحة ولا حسنة، أَي: ما ردَّ علي شيئًا[28].

وَالسَّوَادُ: جماعة النخل والشجر لِخضرته واسْوِدادِه؛ وقيل: إنما ذلك لأَنَّ الخضرة تقارب السوادَ. والسَّوادُ والأَسْوِداتُ والأَساوِدُ: جماعة من النَّاس، وقيل: هم الضُّروب المتفرّقون.ويقال: مرت بنا أَساودُ من الناس وأَسْوِداتٌ كأَنها جمع أَسْوِدَةٍ، وهي جمع قلة لسَوادٍ، وهو الشَّخص لأَنه يرى من بعيد أَسْوَدَ. والسوادُ: الشخص؛ وصرح أَبو عُبيد بأَنه شخص كل شيء من متاع وغيره، والجمع أَسْودةٌ، وأَساوِدُ جمع الجمع. ويقال: رأَيت سَوادَ القوم، أي: معظمهم. وسواد العسكر: ما يشتمل عليه من المضارب والآلات والدواب وغيرها. ويقال: مرت بنا أَسْوِداتٌ من الناس وأَساوِدُ، أَي: جماعات. والسَّوادُ الأَعظم من الناس: هم الجمهور الأَعظم والعدد الكثير من الْمسلمين الّذين تجمعوا على طاعة الإمام وهو السلطان. وسواد الأَمير: ثقله. ولفلان سواد، أَي: مال كثير[29].

إذا كان اللون الأبيض لون الحداد في الصين وأفريقيا السوداء، ولون الزعفران لون الحداد في الهند، فإنَّ اللون الأسود لون الحداد عند كثير من الشعوب، وفي المسيحية يكون لون الحداد والتوبة. وغالبًا ما يكون هذا اللون –بصورة عامة، والكلب أو القط الأسود بصورة خاصة– فأل شر أو حتى رمزًا للشيطان، أو مشاركًا له، كما هو الحال عند بوذيي سيلان. فالأسود رمز الليل، ورمز الغمر بالمعنى المجازي. والتعارض بين الأبيض والأسود يرمز للتعارض بين الموت والقذارة من جهة، والحياة والطهارة من جهة أخرى[30].

استخدم العرب للدلالة على السواد ألفاظ كثيرة، نحو: أدعج، وأدلم، وأدهم، وأسحم، وغيرها. ووصفوا السواد بصفات، مثل: أسود حالك: للمبالغة في السواد، وأسفع: إذا صاحبه شحوب في الوجه، وأحوى وأقهب: إذا مال إلى الخضرة، وأصحم إذا اختلط بالصفرة، وأصدأ: إذا اختلط بالحمرة. واللعس: للدلالة على سواد الشفة، والغدافي والفحيم: لسواد الشعر، وأطلس وأكدر: إذا كان اللون بين الأسود والغبرة، والأطهم: للسواد الخفيف[31].

لقد جاء حقل اللون الأسود في صحيح مسلم؛ ليصف القلب، والحصير، والشعر، والخيط، والحجر، والكلب، والليل، وليدلَّ على دلالات كثيرة، نفصّلها في الآتي ذكره:

أ– الإمعان في الذنب: أتى اللون الأسود وصفًا لقلب الإنسان الذي يستمر في ذنب الكذب، نحو ما جاء في قول حذيفة: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ (...)"[32]. فكلما كذب الإنسان وضعت نقطة صغيرة سوداء في قلبه، حتى يسودّ قلبه كله. فسواد القلب على المستوى التقريري درن ووسخ، وعلى المستوى الإيحائي إمعان في الذنب وزيادة في القبح، وانقباض وحزن، ونهاية.

ب– كثرة الوسخ: لقد تجسد ذلك في وصف الحصير بسبب افتراشه لفترات طويلة، على نحو ما جاء في حديث أنس بن مالك: "أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ، دَعَتْ رَسُولَ صلى الله عليه وسلم لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا فَأُصَلِّيَ لَكُمْ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ، فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصَفَفْتُ أَنَا، وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ"[33].

ج- التقليل: ومن ذلك قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ"[34]. جاء اللون الأسود وصفًا للشعرة السوداء شديدة الوضوح التي في جسم الثور الأبيض، وهي صورة أيقونية بصرية معبرة؛ لتدل على قلة عدد المسلمين يوم المحشر بالنسبة إلى عدد الكفار.

د- ظلمة الليل: يتمثل ذلك في حديث سهل بن سعيد؛ إذ قال: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} [البقرة: 187] قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَأْخُذُ خَيْطًا أَبْيَضَ وَخَيْطًا أَسْوَدَ، فَيَأْكُلُ حَتَّى يَسْتَبِينَهُمَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:{مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة: 187] فَبَيَّنَ ذَلِكَ"[35]. إنَّ محتوى تعبير (الخيط الأسود) هو ظلمة الليل، وإيحاء تقرير الخيط الأبيض هو وضوح النهار.

هـ- كثرة الذنوب: وردت هذه الدلالة للون الأسود وصفًا للحجر الأسود في حديث جابر بن عبدالله في أثناء وصفه لطواف النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَمَلَ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ"[36]. لقد ورد في الأثر أنَّ الحجر الأسود نزل من الجنة أشد بياضًا من الثلج، وأنَّه اسودَّ من ذنوب العباد وخطاياهم[37].

و- الخبث: تتضح هذه الدلالة في وصف الكلب الأسود نحو ما جاء في حديث أبي ذر: " قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ"[38]. إنَّ الحقل الدلالي للون الأسود في تعبير: (الكلب الأسود) قد جمع بين صورة أكوستية (شيطان) ومفهوم الخبث والعقر وقلة النفع وكثرة النعاس.

نستنتج مما مرَّ معنا من دلالات، أنَّ لكسيم اللون الأسود قد جمع السيميمات الآتية: [الإمعان في الذنب+ كثرة الوسخ+ التقليل+ ظلمة الليل+ الخبث+ العقر+ قلة النفع+ كثرة النعاس]؛ وبذلك أصبح اللون الأسود رمزًا للذنب والوسخ والخبث وقلة النفع.

3. حقل اللون الأصفر:

صَفَرَ: (الصُّفْرَةُ) لون الْأَصْفَرِ وقد (اصْفَرَّ) الشيء و(اصْفَارَّ) و(صَفَّرَهُ) غيره (تَصْفِيرًا). (الْأَصْفَرَانِ): الذهب والزعفران، وقيل: الورس والزعفران[39]. ويقال: ما لفلان صفراء ولا بيضاء، أي: لا ذهب ولا فضة[40]. وبنو (الْأَصْفَرِ): الرُّوم؛ إذ كان الزعفران الأصفر عندهم صبغة حجاب المتزوجة، ورمزًا للاستبشار والحبور[41]. وربما سمَّت العرب الأسْوَدَ أصفر. وَ(الصُّفْرُ): نحاس يعمل منه الأواني وأبو عبيدة يقوله بالكسرِ. و(الصِّفْرُ): الخالي. يقال: بيت صِفْرٌ من المتاع ورجل صِفْرُ اليدين. وفي الحديث: "إِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ مِنَ الْخَيْرِ الْبَيْتُ الصِّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى". وقد (صَفِرَ) من باب طَرِبَ فهو (صَفِرٌ). و(أَصْفَرَ) الرجل فهو (مُصْفِرٌ)، أَي: افْتَقَرَ. و(صَفَرُ) الشهر بعد الْمُحَرَّمَ وجمعه (أَصْفَارٌ). وقال ابن دريد: (الصَّفَرَانِ) شهران من السنة سمي أحدهما في الإسلام الْمُحَرَّمَ. وَ(الصَّفَرُ): بفتحتين فيما تزعم العرب حيَّةٌ فِي البطن تعض الإنسان إذا جاع، واللدغ الذي يجده عند الجوع من عضه. وفِي الحديث: "لَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ". و(صَفَرَ) الطائر يصفر بالكسرِ (صَفِيرًا). و (الصُّفَارِيَّةُ): بوزن الغرابية طائر[42].ومن التعبيرات الحديثة قولهم: أصفر الوجه، أي: به مرض وذبول. وضحكة صفراء: إذا كانت بمرارة ومنتزعة انتزاعًا. وعين صفراء: إذا كانت حاسدة وحقودة... إلخ[43].

ارتبط حقل اللون الأصفر –في كثير من أحاديث صحيح مسلم– بمادتي الزعفران والورس، وجاء وصفًا للجسم، والشمس، والثياب؛ ليدلَّ على دلالات متنوعه، نوجزها في الآتي ذكره:

أ– التطيب: يستخدم اللون الأصفر في صبغ الملابس للتطيب، وهو المنهي عن لبسه في الإحرام؛ إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ وَلَا الْوَرْسُ"[44]. نجد في هذا الحديث أنَّ تقرير (الزعفران والورس) هو إعطاء اللون الأصفر للثوب، لكنَّ الدلالة الإيحائية لهذه العلامة هي التطيب؛ لأنَّ الزعفران والورس يستخدمان لتطييب الثوب، وهو منهي عنه في أثناء الإحرام. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لرجل كان قد أهل بعمرة وهو مصفر لحيته ورأسه: "انْزِعْ عَنْكَ الْجُبَّةَ، وَاغْسِلْ عَنْكَ الصُّفْرَةَ، وَمَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجِّكَ، فَاصْنَعْهُ فِي عُمْرَتِكَ"[45]. ومن ذلك أيضًا سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أثر الصفرة التي لوحظت على عبد الرحمن بن عوف، عندما قال صلى الله عليه وسلم: "مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ

اللهِ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَبَارَكَ اللهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ. فدال اللون الأصفر في هذا الحديث يدل على الطيب المستخلص من الزعفران الذي علق بثيابه أو بجسده من طيب عروسه. ومن الأحاديث التي تدل على ذلك حديث زينب بنت أبي سلمة عندما قالت: "دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ، فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ -أَوْ غَيْرُهُ- فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا"[46]. لقد دهنت أم حبيبة رضي الله عنها الجارية بهذا الطيب، ثم مسحت بعارضيها؛ دفعًا لصورة الإحداد على أبيها.

ب- الكراهة: لقد أتى هذا اللون صفة للشمس، ويبين ذلك حديث عبدالله عندما قال: "حَبَسَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، حَتَّى احْمَرَّتِ الشَّمْسُ، أَوِ اصْفَرَّتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارًا"، أَوْ قَالَ: "حَشَا اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا"[47]. إنَّ اللون الأصفر في هذا الحديث يدل على وقت غروب الشمس؛ وعليه فإنَّ اصفرار الشمس أصبح يشكل رمزًا إلى كراهة تأخير صلاة العصر إلى هذا الوقت.

ج- المس: ومما يشير إلى ذلك حديث أم سلمة: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، رَأَى بِوَجْهِهَا سَفْعَةً، فَقَالَ: "بِهَا نَظْرَةٌ، فَاسْتَرْقُوا لَهَا" يَعْنِي بِوَجْهِهَا صُفْرَةً"[48]. إنَّ اللون الأصفر الذي ظهر بوجه الجارية وهو لون مخالف للون بشرتها الحقيقية ناتج عن مس الشيطان لها؛ لذا طلب النبي صلى الله عليه وسلم لها الرقية.

وعليه فإنَّ لكسيم اللون الأصفر يحمل السيميمات الآتية: [التطيب+ الكراهة+ المس].

4. حقل اللون الأحمر:

حمر: الحُمْرة: لون الأَحْمَر، تقول: قد احمَرَّ الشيء احمِرارًا إذا لزم لونه فلم يتغير من حال إلى حال، واحمارَّ يَحمارُّ احميرارًا إذا كان عرضًا حادثًا لا يثبت، كقولك: جعل يَحمارُّ مرة ويصفارُّ مرّة[49]. تقول العرب: "الْحُسْنُ أَحْمَرُ" يقال ذلك لأَنَّ النُّفوس كلَّها لا تكاد تكره الحُمْرَةَ. وتقول رجل أَحْمَرُ، وَأَحَامِرُ فإن أَردت اللّون قلت أحمر. وحجة الأَحَامِرَةِ قول الأَعشى:

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْمًا مُولَعَا

لقد ذهب بالأحامرة مذهب الأسماء، ولم يذهب بها مذهب الصفات. ولو ذهب بها مذهب الصِفات لقال حُمْرٌ. وَالْحَمْرَاءُ: العجم، سُمُّوا بذلك لأَنَّ الشُّقْرَةَ أَغلب الأَلوان عليهم. ومن ذلك قولهم لعلي رضي الله عنه: "غَلَبَتْنَا عَلَيْكَ هَذِهِ الْحَمْرَاءُ". ويقال مَوْتٌ أَحْمَرُ، وذلك إذا وصف بالشدة. وقال علي: "كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ". ومن الباب قولهم: وَطْأَةٌ حَمْرَاءُ ؛ وذلك إذا كانت جديدة؛ وَوَطْأَةٌ دَهْمَاءُ، إذا كانت قديمة دارسة. ويقال سَنَةٌ حَمْرَاءُ شَدِيدَةٌ، ولِذلك يقال لشدَّة الْقيظ حَمَارَّةٌ. وإِنَّما قيل هذا لأَنَّ أعجب الأَلْوان إليهم الحمرة. إذا كان كذا وبالغوا في وصف شيء ذكروه بالحمرة، أَو بلفظة تشبه الْحُمْرَةَ[50]. ومن الاستعمالات الحديثة: أمضى ليلة حمراء، أي: ماجنة. والحرية الحمراء، وهي الحرية التي تنتزع من المستعمر بعد معارك دموية. وأظهر له العين الحمراء، أي: تهدده وتوعده[51].

يرد حقل اللون الأحمر كثيرًا في صور صحيح مسلم، وذلك لصلة الأحمر بالنار والدماء، فناسب الكثير من المواقف، وحمل في بعضها دلالات ورموزًا تخرج عن مجرد اللون. فأتى في المدونة على النحو الآتي:

أ- نضج الثمار وصلاحها: نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تزهو، على نحو ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنه: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ بَيْعِ النَّخْلِ حَتَّى يَزْهُوَ"[52]. إنَّ الزهو تعبير للون الأحمر، ومحتواه نضج الثمار وصلاحها. يقال زها النخل يزهو إذا ظهرت ثمرته، وأزهى يزهي إذا احمرَّ أو اصفرَّ، فإذا ظهرت الحمرة أو الصفرة في النخل فقد ظهر فيه الزهو[53]. وبهذا يكون لكسيم الزهو (الأحمر) يحمل السيميمات الآتية: [النضج+ الصلاح+ المنظر الحسن].

ب- التضحية في سبيل الله: اقترن الأحمر بالدم؛ ليشير إلى فضيلة الجهاد في سبيل الله؛ إذ أتى في مقام تشريف، للترغيب في هذه الفضيلة، كما أنَّه أصبح شيئًا مشمومًا؛ نظرًا إلى رائحة المسك التي تنبعث منه؛ لتطغى على قبح لون الدم المنفّر، كما ورد في الحديث النبوي الآتي: "كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ، تَفَجَّرُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ"[54]. فتفجّر دم الشهيد يوم القيامة علامة دالة وشاهدة على بذل الشهيد نفسه في طاعة الله تعالى، وعلى رضى الله تعالى عنه، وعلى المنزلة العليا التي أعدها له.

ج- كبر السن: ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: "اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاحَ لِذَلِكَ فَقَالَ: "اللهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ" فَغِرْتُ فَقُلْتُ: وَمَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ، حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ، هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ فَأَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا"[55]. إن الدال اللوني (حمراء الشدقين) يدل على كبر السن؛ إذ إنَّ هالة بنت خويلد عجوز كبيرة جدًا، أسنانها قد سقطت من الكبر، ولم يبق لشدقيها إلا لثتها الحمراء. وعليه فإنَّ لكسيم اللون الأحمر يحمل السيميمات الآتية: [الصلاح+ النور+ الفداء+ التضحية+ النضج+ المنظر الحسن+ كبر السن].

5. حقل اللون الأخضر:

خَضَرَ: الخُضْرَة: لون معروف. والعرب تسمي الْأسود أخضر؛ إذ قال الشَّاعر:

وَراحَتْ رَواحًا مِن زَرُودَ فَنــازَعَتْ زُبَالَةَ سربالًا مِنَ اللَّيلِ أَخْضَرَا

يعني ناقة أسرعت إِلى زبالة موضع بَين مكة والكوفة فكأَنَّها نازعتها اللَّيْل. وقال الله عز وَجل: {مدهامتان}، أَي: سوداوان لشدَّة خضرتهما يعني الجنتين. وسمي سواد العراق سوادًا لكثرة الشّجر والمياه والخضر فيه. والخضر: قبيلة من العرب سموا بذلك لسواد ألوانهم. والخضرة فِي شيات الخيل: غبرة صافِية تخالطها دهمة. يرِيد أَنَّه من خالص الْعرب لأَنَّ ألوان العرب السمرة والأدمة يقول: أَنا فِي صميمهم وخالصهم. والخضار: نبت. والخضار: اللَّبن الذي قد أَكثر ماؤه نحو السجاج والسمار. ويقال: عَيْش خضر إِذا كان غضًا رافهًا. وفِي كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إِنَّ الدُّنْيَا حلوة خضرَة مضرَّة. والخضار: الموضع الكثير الشّجر فِي بعض اللُّغات يقال: واد خضار إِذا كان كثير الشّجر. وسميت السَّماء خضراء والبحر أَخضر لألوانهما. وتقول العرب: لا أُكلمك أو تنطبق الخضراء على الغبراء يعنون: السَّماء على الأَرض. وقد سمت العرب أَخضر وخضيرا.

وتسمى هذه الحمام الدواجن في البيوت: الخضر وإن اختلفت ألوانها لأَنَّ أَكثر ألوانها الخضرة والورقة[56].

يُعدُّ اللون الأخضر في الثقافة الإسلامية لونًا مقدسً اللنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه، ولونًا لعلم المسلمين[57]، ورمزًا للثروات المادية، ورمزًا للفن الروحي. ويمثل هذا اللون – في العقيدة– الإخلاص والخلود والتأمل الروحي[58].

أدى حقل اللون الأخضر –في صحيح مسلم– دلالات متنوعة، نوجزها في الآتي ذكره:

أ– الحسن والنضارة: ومن ذلك حديث سعيد بن حزام: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"[59]. وحديث أبي مسلمة: "سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[60]. ففي الحديثين شُبِّه المال في الرغبة فيه والحرص عليه، والدنيا في حسنها وجمالها بالنبات الأخضر الجميل. وفي ذلك أيضًا إشارة إلى زوال المال وفناء الدنيا لأنَّ خضرة النبات لا تدوم. وفيه دعوة أيضًا إلى عدم الافتتان بالمال والدنيا.

ب– النعيم: وخير مثال على ذلك حديث أنس بن مالك: "قَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الْعَبْدَ، إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ قَالَ: يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا، إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ"[61]. يدل اللون الأخضر في هذا الحديث على النعم الغضة الناعمة التي ينعمها الله –عزَّ وجلَّ– على العبد المؤمن في قبره.

ج– الجماعة المجتمعة: ويدل على ذلك حديث أبي هريرة: "(...) فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (...)"[62]. يدل تعبير (خضراء قريش) على محتوى الجماعة المجتمعة، أي: أنَّ جماعة قريش قد استئصلت بالقتل.

إنَّ لكسيم حقل اللون الأخضر يحمل السيميمات الآتية: [حُسن ونضارة+ نعيم+ جماعة مجتمعة].

6. حقل اللون الأزرق:

زرق: الزُّرْقةُ في العينِ، تقول: زَرِقَتْ عَيْنُهُ، بِالْكَسْرِ، تَزْرَقُ زَرَقًا. الزُّرْقة البياض حيثما كان، والزُّرْقة: خُضْرَةٌ في سواد العين، وقيل: هو أَن يتغشّى سوادها بياض، زَرِقَ زَرَقًا فهو أَزْرَقُ وأَزْرَقِيٌّ؛ قال الأَعشى:تتبَّعَه أَزْرَقِيٌّ لَحِمْ. وقد زَرِقَت عينُه، بِالكسْرِ؛ قال الشَّاعِرُ:

لَقَدْ زَرِقَتْ عَيْناكَ يَا ابْنَ مُكَعْبَرٍ كَمَا كلُّ ضَبِّيٍّ مِنَ اللُّؤْمِ أَزْرَقُ

وازْرَقَّت عينه ازْرِقاقًا وازْراقَّت عينه ازْرِيقاقًا، وهو أَزْرَقُ الْعَيْنِ. ونَصْلٌ أَزْرَقُ بيِّنُ الزَّرَق: شديد الصَّفاء؛ قَالَ رُؤْبَةُ:

حَتَّى إِذا تَوَقَّدت مِنَ الزَّرَقْ حَجْرِيَّةٌ كالجَمْر مِنْ سَنِّ الذَّلَقْ

وتسمّى الأَسِنَّةُ زُرْقاً لِلونِها. الزَّرَقُ تحجيل يكون دون الأَشاعِر، وقيل: الزَّرَقُ بَيَاضٌ لا يطيف بالعظم كله ولكنه وضَح في بعضه. الزَّرْقاءُ الخَمْرُ. وماءٌ أَزْرَقُ: صافٍ. ونُطْفة زَرْقاء. والزُّرْقُم: الأَزْرَقُ الشَّدِيدُ الزَّرَق، والمرأَة زُرقُم أَيضًا، وَالذكر والأُنثى فِي ذلِك سواء؛ قال الرَاجز:

ليسَتْ بِكَحْلاءَ، وَلَكِنْ زُرْقُمُ وَلَا بِرَسْحاءَ، وَلَكِنْ سُتْهُمُ

وقال اللِّحْيَانِيُّ: رَجُلٌ أَزْرَقُ وزُرْقُم وامرأَة زَرْقاء بيِّنة الزَّرَقِ وزُرْقُمَةٌ. وقوله تعالى: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} وقد قيل في تفسير (زُرْقًا) في هذه الآية: عطاشًا، أو عميًا، أو طامعين فيما لا ينالونه. والزُّرْقُ المياهُ الصَّافِيَةُ؛ ومِنه قَول زهيرٍ:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُه وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المتَخَيِّم

والماء يكون أَزْرَقَ، ويكون أَسْجَرَ، ويكون أَخضر، ويكون أَبيضَ. والزُّرْقُ: أَكثبة بالدهناء؛ قال ذو الرمة:

وقَرَّبْن بالزُّرْقِ الحَمائِلَ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ عَنْ غِرْبانِ أَوْراكِها الخَطْرُ

وزَرَقَه بعينه وببصره زَرْقًا: أَحدَّه نحوه ورماه به. وزَرَقَتْ عينه نحوِي إِذا انقلبت وظهر بياضُها. وزَرَقَت الناقة الرَّحْلَ، أَي: أَخَّرته إِلى وراء فانزرق؛ قال الراجِز:

يَزْعُمُ زيدٌ أَنَّ رَحْلي مُنْزَرِقْ يَكْفِيكَه اللَّهُ وحَبْلٌ فِي العُنُقْ

يعني اللبب. والمُنْزَرِقُ: المستلقِي وراءه[63]. ومن المجاز: سنان أَزْرَق، وأَسنَّة زُرْق. وماء أَزْرَق، ونطفة زَرْقاء[64]. ومن الاستعمالات الحديثة قولهم: نابه أزرق: ماكر بارع. ودمه أزرق: أرستقراطي[65].

لم يرد حقل اللون (الأزرق) -في المدونة- بلفظه، إنَّما ورد في معرض وصف نوع من الحيات ألا وهو الأبتر، على نحو ما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ، فَإِنَّهُمَا يَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ وَيَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ"[66]. فتعبير (الأبتر) ذلك الصنف من الحيات ذو اللون الأزرق الذي يوحي بالخوف الشديد؛ لأنَّه يخطف البصر ويطمسه، ويجعل الحامل تلقي ما في بطنها إذا نظرت إليه؛ إذ قال النضر بن شميل: "الأَبْتَرُ مِنَ الحَيَّاتِ صِنْفٌ أَزْرَقُ مَقْطُوْعُ الذَّنَبِ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ حَامِلٌ إِلَّا أَلْقَتْ مَا فِيْ بَطْنِهَا"[67].

وعليه فإنَّ لكسيم اللون الأزرق يحمل السيميمات الآتية: [+الخوف الشديد+ خطف البصر وطمسه].

الخاتمة:

لقد أتت الحقول الدلالية للون -في صحيح مسلم- وصفًا لأشياء عديدة، ومنفتحة على دلالات كثيرة، يمكن توضيحها في الآتي ذكره:

1. **اللون الأبيض**: أتى هذا اللون أكثر الألوان ورودًا في المدونة. وجاء وصفًا للباس، والشمس، والشعر، والنهار، والعقال، والوجه، والقلب، والخيل؛ ليشير إلى دلالات متنوعة، وهي: الصفاء والنقاء، وفضل الوضوء، والتقليل، ووضح النهار، والحسن والجَمَال، ووقت صلاة العصر، والسلامة من الخلل، والكراهة.

2. **اللون الأسود**: جاء هذا اللون وصفًا للقلب، والحصير، والشعر، والخيط، والحجر، والكلب، والليل، وبدلالات متنوعة، هي: الإمعان في الذنب، وكثرة الوسخ، والتقليل، وظلمة الليل، وكثرة الذنوب، والخبث، والعقر، وقلة النفع، وكثرة النعاس.

3. **اللون الأصفر**: ورد وصفًا للجسم، والشمس، والثياب، فحمل إيحاءات متعددة، هي: التطيب، والكراهة، والمس.

4. **اللون الأحمر**: جاء هذا اللون وصفًا للثمار، والدم، والشدقين، ودالًا على نضج الثمار وصلاحها، والتضحية في سبيل الله، وكبر السن.

5. **اللون الأخضر**:ذُكر هذا اللون في المدونة ليصف المال، والدنيا، ونعيم القبر، وقبيلة قريش؛ ليدلَّ على الحسن، والنضارة، والنعيم، والجماعة المجتمعة.

6. **اللون الأزرق:** لم يرد هذا اللون بلفظه في المدونة، وإنما ورد في معرض وصف نوع من الحيات لونه أزرق وهو الأبتر؛ ليشير إلى الخوف الشديد، وخطف البصر وطمسه.

هوامش:

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب (القاهرة)، 1998، ص82.

[2] المرجع نفسه، ص80.

[3] أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق)، 2002، ص13.

[4] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص82-83؛ أحمد الحساني، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي2، كلية الدراسات الإسلامية والعربية (دبي)، 2013، ص 290-291.

[5] سالم بيدق، الحقول الدلالية لـ (هل) في السياق القرآني، المجلة الجامعة، جامعة السابع من إبريل، ع12، 2010، ص90.

[6] أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، مرجع سابق، ص21.

[7] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص79.

[8] حسن ظاظا، كلام العرب، قضايا في اللغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت)، 1970، ص20.

[9] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مرجع سابق، ص80.

[10] المرجع نفسه، ص80-81.

[11] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تح. يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية- الدار النموذجية (بيروت- صيدا)، ط5، 1999، مادة "ل و ن".

[12] المرجع نفسه، مادة " ب ي ض".

[13] محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (بيروت)، 1414هـ، مادة "ب ي ض".

[14] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، 1494/3.

[15] المرجع نفسه، 95/1.

[16] المرجع نفسه، 217/1.

[17] المرجع نفسه، 246/2.

[18] المرجع نفسه، 200/1.

[19] المرجع نفسه، 766/2.

[20] المرجع نفسه، 1820/4.

[21] المرجع نفسه، 428/1.

[22] المرجع نفسه، 128/1.

[23] المرجع نفسه، 1494/3.

[24] علي بن سلطان الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر (بيروت)، 2002، 2501/6.

[25] اللكسيم (Lexeme): الوحدة التقابلية الصغرى في النظام الدلالي في لغة ما.

Ramzi Baalbaki, Dictionary of Linguistic Term, Dar el-ilm lilmalayin (Lebanon), 1990, p280.

[26] السيميم (Sememe): مصطلح يستخدم في بعض النظريات الدلالية للإشارة إلى الوحدة الدلالية الصغرى.

David Crystal, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishing (USA) (UK) (Australia), 6th Edition, 2008, p430.

[27] محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة "س و د".

[28] المرجع نفسه، مادة "س و د".

[29] المرجع نفسه، مادة "س و د".

[30] فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، تر. عبد الهادي عباس، دار دمشق (دمشق)، 1992، ص429.

[31] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص45-46.

[32] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 128/1.

[33] المرجع نفسه، 457/1.

[34] المرجع نفسه، 200/1.

[35] المرجع نفسه، 767/2.

[36] المرجع نفسه، 921/2.

[37] حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ". محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، 1998، باب ما جاء في فضل الحجر، 218/2.

[38] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 365/1.

[39] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، مادة "ص ف ر".

[40] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص69.

[41] فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، مرجع سابق، ص427.

[42] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، مادة "ص ف ر".

[43] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص69.

[44] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 834/2.

[45] المرجع نفسه، 837/2.

[46] المرجع نفسه، 1123/2.

[47] المرجع نفسه، 437/1.

[48] المرجع نفسه، 1725/4.

[49] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (مصر)، (د.ت)، باب "الحاء والراء والميم".

[50] أحمد بن فارس القزويني، مقاييس اللغة، تح. عبد السلام هارون، دار الفكر (دمشق)، 1979، مادة "ح م ر".

[51] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص69.

[52] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 1165/3.

[53] المرجع نفسه، 1165/3.

[54] المرجع نفسه، 1497/3.

[55] المرجع نفسه، 1889/4.

[56] محمد بن حسن بن دريد، جمهرة اللغة، تح. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت)، 1987، مادة "خ رض".

[57] فيليب سيرنج، الرموز في الفن- الأديان- الحياة، مرجع سابق، ص423.

[58] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص164.

[59] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 717/2.

[60] المرجع نفسه، 2098/4.

[61] المرجع نفسه، 2200/4.

[62] المرجع نفسه، 1405/3.

[63] محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، فصل "الزاي".

[64] محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، تح. محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، 1998، مادة "زري".

[65] أحمد مختار عمر، اللغة واللون، مرجع سابق، ص78.

[66] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، 1752/4.

[67] يوسف بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح. مصطفى العلوي ومحمد البكري (المغرب)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ، 23/16، ح.16.